محمد علي آذرشب *

رجال حضاريون إيرانيون في مصر

(الصفحات ١٢٩- ١٦٢)

ملخّص

من مظاهروحدة الدائرة الحضارية الإسلامية ظهورإحيائيين يدعون إلى وحدة أعضاء الأمة لتكون جسدًا واحدًا إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمّى، وهؤلاء الإحيائيون لا يسمحون لأنفسهم أن يعيشوا في أغلال الطائفية أو الإقليمية بل يتخذون من كل الأمة أهلاً ومن كل الوطن الإسلامي سهلاً. ثلاثة إيرانيين يتناولهم المقال رأوا في مصرالمجال الرحب لإطلاق دعوتهم الإحيائية هم جمال الدين الحسيني (المعروف بالافغاني) وهو صاحب الدعوة الإحيائية التي لا تزال آثارها مشهودة في صحوة العالم الإسلامي، والشيخ عبدالكريم الزنجاني الفقيه الذي تجاوز إطاره الوطني والإقليمي والقومي والطائفي ليجعل خطابه إلى المسلمين عامة، وكان لقاؤه مع الإمام الأكبر الشيخ المراغي بداية أوشكت أن تغيّر كثيرًا من الأوضاع السلبية. والثالث الشيخ محمد تقي القمي الذي هزّته حادثة قتل طائفي، فلم يتجه إلى محاربة القاتلين، بل إلى محاربة الجهل الطائفي في عالمنا الإسلامي. واختار مصر أيضًا منطلقًا لدعوته لما وجده من تجارب الأزهر الشريف.

---

* - أستاذ في جامعة طهران.

وحدة الدائرة الحضارية الإسلامية جعلت رجال الصحوة الإسلامية في أي بلد يحملون هموم العالم الإسلامي بأجمعه، ويختارون أي بلد من بلدان المسلمين يرونه مهيئًا لدعوتهم،وفي هذا المقال نذكر ثلاثة من الإيرانيين وجدوا من مصر المناخ الحضاري المناسب لدعوتهم إلى وحدة الأمة واستئناف مسيرتها الحضارية.

سيد جمال الدين الحسيني (١٢٥٤ – ١٣١٤هـ/ ١٨٣٨ – ١٨٩٧م)

أشهر روّاد اليقظة، وأبرز قادة الحركة الإصلاحية، ومن أهم دعاة اتحاد المسلمين، ونبذ الطائفية والارتفاع إلى مستوى الهمّ الحضاري في القرن الماضي ونذكره هنا ـ رغم أنه عاش في أواخر القرن التاسع عشر ـ لريادته، ولاتصال الحركة الحضارية وحركة التقريب في القرن العشرين به مباشرةً.

شاءت الظروف أن تتنقل أسرته بين بلدان مختلفة، وبذلك توفرت له الظروف لأن يدرس في الحوزات العلمية الإيرانية والعراقية، وتنقل بين الهند والآستانة والحجاز وروسيا وباريس ولندن داعيًا إلى مشروعه الإحيائي التجديدي، و إلى إيقاظ الأمة من سباتها.

سياحته وذكاؤه المتوقد جعلاه يجيد اللغات الفارسية والعربية والأفغانية والتركية والفرنسية والإنجليزية والروسية.

غير أن هجرته إلى مصر قد اقترنت بنجاح باهر، لما كان في هذا البلد من جوّ مستعد لتقبل أفكار جمال الدين، فاجتمع حوله العلماء والمفكرون والأدباء وتحوّل مشروع السيد إلى تيّار قويّ كان له أبلغ الأثر على وضع العالم الإسلامي في السنوات التالية.

يقول الدكتور محمد عمارة: [1].

«لقد كانت السنوات التي عاشها الأفغاني بمصر(١٢٨٨ ـ ١٢٩٦ هـ/١٨٧١ ـ ١٨٧٩م) ـ هي أخصب السنوات في تاريخ إنجازاته الفكرية والسياسية. ففيها ربي

نخبة من العقول التي جددت فكرالإسلام وحياة المسلمين .وفي مقدمتهم الإمام محمد عبده(١٢٦٥ ـ١٣٢٣ هـ/١٨٤٩ ـ١٩٠٥ م) .وشرح من كتب الفلسفة والكلام والمنطق ما أعاد للحياة الفكرية قسمة العقلانية الإسلاميّة، التي غابت عنها منذ عصرالتراجع الحضاري للمسلمين. ونشأت على يده مدرسة في الصحافة الأهلية الحرة .غيرالحكومية .وتيارشعبي لمعارضة الاستبداد الداخلي، وللثورة على النفوذ الأجنبي .الاقتصادي والسياسي والعسكري .الزاحف على ديارالإسلام. بل لقد عرفت مصر.على يديه وبقيادته .طلائع التنظيمات السياسية (الحزب الوطني الحر) في تلك الفترة المبكرة من نشأة الأحزاب

وبضغوط من الدول الاستعمارية .وخاصة إنجلترا، التي كانت تحضّرلاحتلال مصر.خضع الخديو توفيق(١٢٦٨ ـ١٣٠٩ هـ/ ١٨٥٢ ـ١٨٩٢ م) فنفى جمال الدين من مصر(١٢٩٦ هـ/١٨٧٩ م) .زاعمًا أن الأفغاني يقود جماعة من ذوي الطيش، مجتمعة على فساد الدين والدنيا !! فذهب جمال الدين ـ منفيًا ـ إلى الهند .وهي مستعمرة إنجليزية .فمكث فيها، محددة إقامته من قبل حكومتها الإنجليزية، حتّى تمت هزيمة الثورة العُرابية، واحتلال الإنجليزلمصر(١٢٩٩ هـ/١٨٨٢ م). وعندئذ سمح له الإنجليزبمغادرة الهند، فسافرإلى باريس .العاصمة المنافسة لإنجلترا .وهناك لحق به الشيخ محمد عبده .وكان منفيًا ببيروت، بعد هزيمة العرابيين ومحاكمتهم. ومن باريس أصدرا مجلة *العروة الوثقى* لتعبرعن فكر وسياسة التنظيم السري الذي أقامه الأفغاني، لمواجهة الاستعمارالإنجليزي، و إنهاض المسلمين. وهو التنظيم الذي امتدت عقوده (خلاياه) إلى أغلب بلاد المسلمين .وخاصة مصروالهند .والذي استقطب صفوة العلماء المجددين والأمراء والساسة المجاهدين (تنظيم جمعية العروة الوثقى) فكان هذا التنظيم ومجلته أهم مدارس الوطنية الإسلاميّة والبحث الحضاري الإسلامي، التي تربى فيها وتعلم منها واستضاء بمنهاجها دعاة اليقظة والتجديد والإصلاح والثورة على امتداد العالم الإسلامي».

لقد ركز السيد جمال الدين على إيقاظ الأمة. وكان مشروعه يقوم على أساس:

-الجمع بين الأصالة والمعاصرة

-وعلى إيقاظ الشعور

أصالة ومعاصرة:

شهد العالم الإسلامي قبل السيد حركات إصلاحية سلفية في الجزيرة العربية (منذ ١٧٤٤) وفي الجزائر علي يد عبدالقادر الجزائري (١٨٣٢ ـ ١٨٤٧) وفي السودان علي شكل حركة المهدية (١٨٨١ ـ ١٨٩٨) وفي ليبيا بصورة الحركة السنوسية (١٩١٢ ـ ١٩٢٥)، وتميزت جميعًا بالمقاومة والرجعة إلى الأصول[٢].

و إذا كانت هذه الحركات قد استطاعت أن تحقق بعض النجاح في مقاومة الاستعمار ومكافحة البدع فإنها فشلت تمامًا في تحقيق (نهضة) شاملة بسبب عدم قدرتها على استيعاب مستجدات العصر، أي إنها كانت تفتقد المعاصرة. والحملة الفرنسية فشلت أيضًا أن تحقق نهضة في مصر، رغم كل الجهود التي بذلتها، لأنها لم تكن تنتمي إلى جذور الأمة، فأخفقت في التفاعل، واستثارت الناس ضدها، وعادت من حيث أتت بعد حين.

أما السيد فقد جمع بين الأصالة والمعاصرة في دعوته، وهذا هو سر كل ما حققه من نجاح.

من مظاهر أصالة السيد ارتباطه بالتراث الإسلامي وتمكنه من العلوم الإسلامية مما جعل النابهين من الأزهريين في مصر يلتفون حوله ويتلقون دروسه من أمثال: **محمد عبده**، و**عبدالكريم سلمان**، و**إبراهيم اللقاني**، و**سعد زغلول**، و**إبراهيم طلباوي**، وكانت هذه الدروس منطقًا وفلسفة وتصوفًا وهيئة، مثل كتاب **الزوراء** في التصوف، و*شرح القطب على الشمسية في المنطق*، و*الهداية والاشارات* و*حكمة العين* و*حكمة الاشراق* في الفلسفة، و*تذكرة الطوسي* في علم الهيئة القديمة[٣].

ومن مظاهرأصالته أيضًا اهتمامه بوحدة المسلمين بكافة قومياتهم ومذاهبهم: فهو يدعو إلى نبذ الخصومة بين السنة والشيعة، ليؤلف بين سلطتين قويتين في رقعة العالم الإسلامي إذ ذاك: بين إيران وسلطة القسطنطينية، بعد ذهاب دولة الهند الإسلامية.

وكان يغتنم كل فرصة للدعوة إلى وحدة المسلمين مستشعرًا الخطرمن تفرقهم، ومهيبًا رجال الأمة أن يبذلوا الجهد من أجل تحقيق هذه الوحدة. يقول في مؤتمردعا له السلطان عبدالحميد في الآستانة:

«الديانة الإسلامية في الوقت الحاضرهي بمثابة سفينة ربّانها محمد بن عبدالله(ص) وركاب هذه السفينة المقدسة كافة المسلمين خاصتهم وعامتهم.

وفي الوقت الحاضرأشرفت هذه السفينة على الغرق في بحرالسياسة العالمية، كما تعرضت لخطرالطوفان.

ولعل الحوادث الدبلوماسية، والدسائس الدولية، تؤدي إلى إغراق هذه السفينة وتحطيمها، فما حيلة ركابها وهي مشرفة على الغرق وما هو تدبيرهم؟ فهل يجب على ركاب هذه السفينة أن يبذلوا جهدهم لحراستها و إنقاذها من الطوفان والغرق؟ أم يظلوا مختلفين فيما بينهم، متبعين أغراضهم الشخصية وأهواءهم الدنيئة؟»[٤].

ودفعت هذه الدعوة إلى توحيد كلمة المؤمنين على العمل من أجل الوحدة الإسلامية.

ومن مظاهرأصالته الدفاع عن الدين أمام التيارات الفكرية المنحرفة مثل ردّه علي المذهب الدهري الذي انتشرفي الهند في النصف الثاني من القرن التاسع عشر. وفيه يقاوم الإلحاد الديني بشكل عام ويوضح ضرورة الدين للمجتمع الإنساني، ثم يذكرمزايا الإسلام التي تكفل للإنسان متعة في هذه الحياة أرفع بكثيرمن تلك المتعة التي يهيؤها له اعتناق المذهب الطبيعي[٥].

أما طابع المعاصرة فيه فهو أبين وأوضح، وأهم معالمه دخوله ساحة الكفاح السياسي لمقارعة الاستبداد الداخلي والاستعمار الأجنبي. لقد ظهرت دعوة السيد في عصر كان العالم الإسلامي يعاني من الحكام المستبدين الذين يمهدون باستبدادهم وطغيانهم لسقوط العالم الإسلامي بيد المستعمرين الطامعين.

وكانت العقلية العامة السائدة هي الاستسلام لهؤلاء الطغاة باعتبارهم أولياء أمور، وباعتبارهم قضاء مقدرًا من السماء، ولذلك سادت حالة الذل والخضوع والملق بين الناس، وعم الظلم والفساد والطغيان. وفي هذا الجو ارتفع صوت السيد ليقول للمصريين:

«إنكم معاشر المصريين قد نشأتم في الاستعباد، وربيتم في حجر الاستبداد، وتوالت عليكم قرون منذ زمن الملوك الرعاة حتى اليوم، وأنتم تحملون عبء نير الفاتحين، وتعنون لوطأة الغزاة الظالمين، تسومكم حكوماتهم الحيف والجور، وتنزل بكم الخسف والذل وأنتم صابرون بل راضون، وتستنزف قوام حياتكم ومواد غذائكم التي تجمعت بما يتحلب من عرق جباهكم بالعصا والمقرعة والسوط، وأنتم معرضون. فلو كان في عروقكم دم فيه كريات حيوية، وفي رؤوسكم أعصاب تتأثر فتثير النخوة والحمية لما رضيتم بهذا الذل وهذه المسكنة. تناوبتكم أيدي الرعاة ثم اليونان والرومان، والفرس، ثم العرب والأكراد والمماليك، وكلهم يشق جلودكم بمبضع نَصَبِه، وأنتم كالصخرة الملقاة في الفلاة لا حسّ لكم ولا صوت.

انظروا أهرام مصر، وهياكل ممفيس، وآثار طيبة، ومشاهد سيوة، وحصون دمياط؛ فهي شاهدة بمنعة آبائكم وعزة أجداكم.

هبوا من غفلتكم ...! اصحوا من سكرتكم! عيشوا كباقي الأمم أحرارًا سعداء»[٦].

ومن مظاهر معاصرته أيضًا ارتباطه بالنخب المثقفة في مصر من المثقفين والأدباء

والشعراء خلافًا لما كان عليه عامة الأزهريين من انغلاق. كانت له إلى جانب دروسه العلمية المنظمة جلسات مستمرة في أحد مقاهي القاهرة قرب حديقة الأزبكية، يلتف حوله أنماط شتى من الراغبين في التزود من علمه وفكره، وهو يجيب على الأسئلة «لا يسأم من الكلام فيما ينير العقل، أو يطهر العقيدة، أو يذهب بالنفس إلى معالي الأمور أو يستلفت الفكر إلى النظر في الشؤون العامة مما يمس مصلحة البلاد وسكانها، وكان طلبة العلم ينتقلون بما يكتبونه من تلك المعارف إلى بلادهم أيام العطلة، والزائرون يذهبون بما ينالونه إلى أحيائهم، فاستيقظت مشاعر، وتنبهت عقول، وخف حجاب الغفلة في أطراف متعددة من البلاد خصوصًا في القاهرة»[٧].

يقول عمر الدسوقي: «في هذه الحلقة أُنشئت مدرسة غير مقيدة بمنهج أو كتاب، ولكنها كانت روحًا مشعة تبدد دياجير الغفلة، وتحيي العزائم الميتة، وتلهب الإرادات الخامدة وتفتح الأذهان المغلقة، وفيها تخرج **محمود سامي البارودي**، و**عبدالسلام المويلحي**، و**أخوه إبراهيم المويلحي**، و**محمد عبده**، و**إبراهيم اللقاني**، و**سعد زغلول**، و**علي مظهر**، و**سليم نقاش**، و**أديب إسحاق** وغيرهم. وفي هذه المدرسة العامة، استعرضت حال الأمة الاجتماعية والسياسية، وحقوقها وواجباتها، وداؤها ودواؤها، وانتقد الحكام، وبثت التعاليم، وفشت روح التذمر من الأجانب وتدخلهم في شؤون البلاد مما كان له أبلغ الأثر فيما بعد.

كان جمال الدين يقضي بياض نهاره في بيته يختلف إليه أعضاء تلاميذه، وما إن يقبل الليل حتى يخرج متوكئًا على عصاه إلى هذا المقهى، فيجد في انتظاره الطبيب والمهندس والأديب والشاعر والمعلم والكيمياوي وغيرهم، ويظل يحدثهم بشغف وقوة حتى يمضي جزء كبير من الليل»[٨].

ومن مظاهر معاصرته أيضًا دعوته إلى فتح باب الاجتهاد، لكي تواكب الشريعة المقدسة تطورات الظروف يقول:

«ما معني أن باب الاجتهاد مسدود؟ وبأي نص سد؟ ومن قال لا يصح لمن بعدي أن يجتهد ليتفقه في الدين ويهتدي بهدي القرآن وصحيح الحديث والاستنتاج بالقياس على ما ينطبق على العلوم العصرية وحاجات الزمن وأحكامه؟ إن الفحول من الأئمة اجتهدوا وأحسنوا ولكن لا يصح أن نعتقد أنهم أحاطوا بكل أسرار القرآن، واجتهادهم فيما حواه القرآن ليس إلا فطرة، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء من عباده» (٩).

هذا الجمع بين الأصالة والمعاصرة هو الذي خلق النهضة الحديثة في مصر وانتشرت منها إلى سائر أرجاء العالم العربي.

أثر دعوته في النهضة الحديثة لا يمكن لباحث منصف أن ينكر أثر دعوة السيد في النهضة الحديثة، بل إن كثيرًا من المفكرين من يعتقد أنه هو الذي فجّر هذه النهضة وهو الذي بعث الحياة في المجتمع العربي وغير العربي.

عمر الدسوقي، بعد أن يتحدث عن النثر الفني في أواخر عصر إسماعيل وعهد توفيق وتحوله إلى نثر ينبض بالحياة والحرارة، يقول:

«وإذا أردت أن تقف على الروح التي تكمن من وراء هذا الأدب الحي، والتي بعثت في الشرق الإسلامي كله حيوية دافقة، وهزته هزة عنيفة أيقظته من نومه الطويل، وعرّفته كيف يطلب حقّه من الأقوياء العتاة، وكيف يدفع عن نفسه جور الظلمة القساة، فاعلم أن الروح تمثلت في السيد جمال الدين الأفغاني، من يدين له الشرق الإسلامي بيقظته القومية والفكرية في العصر الحديث».

لقد كانت الكلمة التي أطلقها جمال الدين مرتبطة بجذور الماضي الإسلامي العريق ومتطلعة إلى مستقبل عظمة الأمة وعزتها ولذلك كانت ذات أثر بالغ، يقول مالك بن نبي:

«فالكلمة ـ يطلقها إنسان ـ تستطيع أن تكون عاملًا من العوامل الاجتماعية حيث تثير عواصف في النفوس تغير الأوضاع العالمية.

وهكذا كانت كلمة جمال الدين، فقد شقت كالمحراث في الجموع النائمة طريقها فأحيت مواتها، ثم ألقت وراءها بذورًا لفكرة بسيطة: فكرة النهوض، فسرعان ما آتت أكلها في الضمير الإسلامي ضعفين وأصبحت قوية فعالة، بل غيرت ما بأنفس الناس من تقاليد، وبعثتهم إلى أسلوب في الحياة جديد.

وكان من آثار هذه الكلمة أن بعثت الحركة في كل مكان، وكشفت عن الشعوب الإسلامية غطاءها، ودفعتها إلى نبذ ما كانت عليه من أوضاع ومناظر، فأنكرت من أمرها ما كانت تستحسن، واتخذت مظاهر جديدة لا تتلاءم حتى مع ثيابها التي كانت تلبسها، فنبذت النرجيلة والطربوش والحرز والزردة[١٠]. ولقد بلغ تأثير تلك القوة الفعالة الجزائر فأخذت منها نصيب»[١١].

وللأستاذ محمد عبده نص صريح يوضح لنا حالة مصر قبل أن يهبط واديها السيد جمال الدين (سنة ١٨٧١) وفيه معلومات على غاية من الأهمية توضح لنا أن حملة نابليون وما أعقبها من اتصال المصريين بأوروبا في زمن محمد علي باشا و إبراهيم باشا لم يعد بثمر على المصريين، يقول:

«إن أهالي مصر قبل سنة ١٢٩٣ هـ كانوا يرون شؤونهم العامة بل والخاصة ملكًا لحاكمهم الأعلى، ومن يستنيبه عنه في تدبير أمورهم، يتصرف فيها حسب إرادته، ويعتقدون أن سعادتهم وشقاءهم موكولان إلى أمانته وعدله أو خيانته وظلمه، ولا يرى أحد منهم لنفسه رأيًا يحق له أن يبديه في إدارة بلاده. أو إرادة يتقدم بها إلى عمل من الأعمال يرى فيه صلاحًا لأمته، ولا يعلمون من علاقة بينهم وبين الحكومة سوى أنهم مصرفون فيما تكلفهم الحكومة به وتضربه عليهم. وكانوا في غاية البعد عن معرفة ما عليه الأمم الأخرى سواء كانت إسلامية أو أوروبية .ومع كثرة من ذهب منهم إلى أوروبا وتعلم فيها من عهد محمد علي الكبير إلى ذلك التاريخ، وذهاب العدد الكثير منهم إلى ما جاورهم من البلاد الإسلامية أيام محمد علي باشا الكبير و إبراهيم باشا لم يشعر الأهالي بشيء من

ثمرات تلك الأسفار، ولا فوائد تلك المعارف، ومع أن اسماعيل باشا أبدع مجلس الشورى في مصرسنة ١٢٨٣، وكان من حقه أن يعلم الأهالي أن لهم شأنًا في مصالح بلادهم، وأن لهم رأيًا يرجع إليه فيها، لم يحس أحد منهم ولا من أعضاء المجلس أنفسهم بأن لهم ذلك الحق الذي يقتضيه تشكيل هذه الهيئة الشورية، لأن مبدع المجلس قيده في النظام وفي العمل، ولو حدث إنسانا فكره السليم بأن هناك وجهة خيرغيرالتي يوجهها إليه الحاكم لما أمكنه ذلك؛ فإن بجانب كل لفظ نفيًا عن الوطن، أو إزهاقًا للروح، أو تجريدًا من المال» [١٢].

ثم يتحدث محمد عبده عن وضع الشعب المصري بعد أن استيقظ من سباته يقول:

«ومما تقدم سرده تعلم أن أهالي بلادنا المصرية دبت فيهم روح الاتحاد، وأشرفت نفوسهم على مدارك الرأي العام، وأخذوا يتنصلون من جرم الإهمال، ويستيقظون من نومة الإغفال، وقد مرت عليهم حوادث كقطع الليل المظلم، ثم تقشعت عنهم فطالعوا من سماء الحق ما كحل عيونهم بنورالاستبصار، حتى اشرأبت مطامعهم إلى بث أفكارهم فيما يصلح الشأن ويلمّ الشعث ويجمع المتفرق من الأمورليكونوا أمة متمتعة بمزاياها الحقيقية، فهم بهذا الاستعداد العظيم أهل لأن يسلكوا الطريق الأقوم، طريق الشورى والتعاضد في الرأي» [١٣].

ويقول جرجي زيدان عن جمال الدين: «هوإمام هذه الحركة الاجتماعية في الشرق، بدأ عمله في أفغانستان وبلاد فارس، ثم نزل وادي النيل في زمن إسماعيل، فالتف حوله الأدباء والكتاب يأخذون عنه ويقتدون به، فذاعت شهرته ونبغ من تلاميذه طبقة من الأحرار، أهل الجرأة في السياسة والأدب والإصلاح، فثارت الأفكار. وكان ذلك مما ساعد على إضرام الثورة العُرابية فأُبعد إلى كلكتا وبقي فيها حتى انقضت الثورة فأطلق سراحه فسافر إلى أوروبا ونزل باريس وأنشأ فيها (العروة الوثقي) يحررها مع صديقه محمد عبده، ولم يطل ظهورها. وتقلبت

عليه أحوال شتى، وانتهى أخيرًا إلى الآستانة بجوارعبد الحميد وكان يجلّه ويهابه وبقي هناك حتى مات سنة ١٨٩٧.

ولم يخلّف كتبًا تستحق الذكر، لكنه خلف روحًا جديدة في نفوس الشرقيين، وكان غرضه السياسي توحيد كلمة المسلمين وجمع شتاتهم في ظل دولة واحدة، فلم يوفق إلى ذلك، لكنه وفق إلى تحريك الهمم واستحثاث الخواطر إلى السعي في هذا السبيل» (١٤).

وبمناسبة الإشارة إلى ثورة أحمد عرابي باشا، لا بأس أن نذكرأن هذا الرجل هو من ثمارالصحوة التي أوجدها السيد جمال الدين، فقد قاد الجيش في ثورته ضد توفيق باشا. وكان همه الأول تخليص المصريين من العذاب والذل والسخرة والاستغلال(١٥). وسانده عن قناعة أو عن رضوخ للأمرالواقع كبارالشعراء والأدباء من أمثال عبدالله النديم ومحمود سامي البارودي، ومحمد عبده، واستعان الخديوي بالإنجليز، فقضوا على هذه الثورة ونكلوا بالأحرار.

جمال الدين والأدب العربي في مصر:

الأدب مظهرمن مظاهرحياة المجتمع، فإذا كانت هذه الحياة متحركة متّقدة خلاّقة كان الأدب متسمًا بسماتها، و إذا أصيبت بعاهة انتقلت إلى الأدب أيضًا، ولذلك نرى الأدب في عصرالركود والانحطاط لا يعدو أن يكون «مهارة لفظية، وقدرة على التفوه بعبارات شعرية ونثرية لا حياة فيها، ولا عاطفة ولا قوة، و إنما غرضها إظهارالبراعة في اقتناص ألوان البديع؛ حتى إنهم ليخلّون بالإعراب في الكلمات والتصريف، إذا تعارض الأعراب أو التصريف مع ما يريدونه من جناس أو طباق، ويفسدون بنية الكلمة، عساها تصادق ما يجرون وراءه من هذه الحلي التي يسترون بها عورات لغتهم الركيكة وأفكارهم السقيمة، وخيالاتهم المريضة» (١٦).

الأدب العربي قبل السيد لم يكن يختلف كثيرًا عن عصرالانحطاط، ولم

يكن للاتصال الأوروبي عن طريق الحملة أو البعثات أو الارساليات أثريذكرعلى الأدب العربي. أما بعد نهضة السيد فقط تطورالأدب تطورًا واسعًا بشعره ونثره، لما كان لهذه النهضة من أثرعميق في ضميرهذه الأمة ووجدانها.

ولا أدلّ على ما ذكرنا من أن رائد النثرالعربي الحديث محمد عبده ورائد الشعر الحديث محمود سامي البارودي هما من تلاميذ السيد جمال الدين.

تأثيره المباشرعلى الأدب العربي في مصر:

إلى جانب النهضة الاجتماعية التي أوجدها السيد، وتأثيرهذه النهضة على الأدب، كان لجمال الدين دورمباشرفي دفع حركة الأدب وتطويرها نلخصها بما يلي:

١- أرشد السيد تلاميذه الكتاب إلى التحررمن القيود الثقيلة التي كانت ترسف فيها الكتابة الإنشائية من محسنات بديعية مختلفة، وسجع متكلف ممقوت، واستعارات غريبة وغيرذلك مما أفسد المعنى وسترالأفكارعن الوضوح والجلاء، كما أرشدهم إلى تجنب المقدمات الطويلة؛ وطبيعي أن يصرفهم إلى الاهتمام بالمعاني، لأن هناك أشياء كثيرة يريدون الإبانة عنها والإفاضة فيها. ولا يتسع هذا النثرالمقيد لكل تلك المعاني، ولا يستطيع إيضاحها كاملة[١٧]. وظهرت هذه التوجيهات في أسلوب محمد عبده وأديب إسحاق وعبدالله النديم وأحمد عرابي وغيرهم كثير.

٢- لم يكن السيد جمال الدين من المطبوعين على الأساليب العربية الجميلة، لكنه فيما كتبه من مقالات قدم نماذج جيدة على الأسلوب المتحررمن السخافات والجمود.

لقد كان قادرًا على تفتيق المعاني وتوليد الأفكار. يقول تلميذه محمد عبده:

«له سلطة على دقائق المعاني وتحديدها و إبرازها في الصورة اللائقة بها كأن كل معنى قد خلق له، وله قوة في حل ما يعضل منها كأنه سلطان شديد

البطش، فنظرة منه تفكك عقدها. كل موضوع يلقي إليه يدخل للبحث فيه كأنه صنع يديه، فيأتي على أطرافه، ويحيط بجميع أكنافه، ويكشف ستر الغموض عنه فيظهرالمستورمنه، وإذا تكلم في الفنون حكم فيها حكم الواضعين لها، ثم له في باب الشعريات قدرة على الاختراع، كأن ذهنه عالم الصنع والإبداع».

ويقول في موضع آخرمتحدثًا عن تأثيرالسيد في نشوء جيل من الكتاب في مصر: «كان أرباب العلم في الديارالمصرية، القادرون على الإجادة في المواضيع المختلفة منحصرين في عدد قليل. وما كنا نعرف منهم إلاّ عبدالله باشا فكري، وخيري باشا، ومجد باشا سيد أحمد، على ضعف فيه، ومصطفى باشا وهبي، على تخصص فيه، ومن عدا هؤلاء، فإما ساجعون في المراسلات الخاصة، وإما مصنفون في بعض الفنون العربية أو الفقهية وما شاكلها؛ ومن عشرسنوات ترى كتبة في القطرالمصري لا يُشق غبارهم، ولا يوطأ مضمارهم، وأغلبهم أحداث في السن، شيوخ في الصنعة وما منهم إلاأخذ عنه (عن السيد جمال الدين) أوعن أحد تلاميذه أو قلد المتصلين به»[١٨].

٣- شجّع جماعة من الكهول والشبان على إنشاء الجرائد، والكتابة فيها. فطلب إلى الشيخ محمد عبده وإبراهيم اللقاني وغيرهما أن يشتركا في تحرير جريدة التجارة التي أنشأها أديب إسحاق، وكتب هو بنفسه فيها. وتدخل في تحريرالوقائع المصرية وطلب إلى الكتّاب أن يدبّجوا مقالاتهم في موضوعات تمسّ حياة الأمة في صميمها، وحرّض الصحفي اليهودي (يعقوب بن صنّوع) على إصدارجريدته التهكمية «أبي نضارة» ويشجعه على الاستمرارفي النقد الذي يلذع به إسماعيل[١٩]».

٤- من الملفت للنظرأنه شجع على ترجمة الأدب الاوروبي، وخاصة ذاك الذي يحمل روحًا ملحمية، واعتبرأن نقل هذا اللون من الأدب إلى العربية أكثرفائدة من

نقل الفلسفة اليونانية. وهذا يؤيّد اهتمامه بيقظة الروح أكثر من اهتمامه بالفكر. يُذكر مثلًا أنه «هو الذي شجع سليمان البستاني على ترجمة الإلياذة لهوميروس فقال كما يروي البستاني نفسه: إننا يسرّنا أن نفعل اليوم ما كان يجب على العرب أن يفعلوه قبل ألف عام ونيف. ويا حبذا لو أن الأدباء الذين جمعهم المأمون بادروا إلى نقل الإلياذة بادئ ذي بدء، ولو ألجأهم ذلك إلى إهمال الفلسفة اليونانية برمتها) [٢٠].

أفول النهضة في مصر:

ربّ سائل يسأل عن مصير هذه النهضة، ولماذا لم تحقق في العالم العربي ما حققته نهضة أوروبا في الغرب ونهضة اليابان في الشرق. والجواب أن هذه النهضة انتكست على يد المستعمرين وبطشهم وخططهم العسكرية والسياسية والاقتصادية والثقافية. ولولا هذه النكسة لبلغت مصر في التنمية مستوى لا يقل عما بلغته اليابان، ولعمّت هذه الروح كل العالم العربي والإسلامي.

لقد دفع عرابي باشا بالنهضة إلى مواجهة حادّة مع أعدائها؛ بينما كانت تشقّ طريقها بسرعة إلى القلوب والأرواح، ونتج عن ذلك دخول البريطانيين ليبطشوا بالأحرار وينكّلوا بهم أشدّ التنكيل، إلى جانب نشاط مدروس لتمييع شخصيات النهضة وتذويبهم ، فكانت النتيجة أن لم تحقق النهضة أهدافها وانحرفت عن مسيرتها.

في نهاية القرن التاسع عشر ظهر جيل من تلاميذ السيد يحملون روحه ودعوته، فيهم السياسيون والكتاب والشعراء والعلماء من أمثال: محمد عبده، وعبدالكريم سلمان، و إبراهيم اللقاني، وسعد زغلول و إبراهيم طلباوي ومحمود سامي البارودي، وعبدالسلام المويلحي، و إبراهيم المويلحي، وعلي مظهر، وسليم نقاش وأديب إسحاق وسليمان البستاني، وعبدالله النديم، وعبدالرحمن الكواكبي، وسيد بن علي المرصفي.

وعلى يد هذا الجيل تربى أمثال المنفلوطي وطه حسين والزيات ومصطفى صادق الرافعي و إبراهيم اليازجي وأحمد الحمصاني وقاسم أمين وغيرهم كثيرون.

ولاتزال هذه الروح التي أوجدها السيد تتراءى ولو بشكل ضعيف في كثيرمن الكتّاب والأدباء والشعراء وأصحاب الحركات السياسية في العالم العربي. غير أن المسيرة تعثرت منذ خطواتها الأولى ولم تطو مراحل كمالها، ومن المؤمل أن تكون الصحوة الإسلامية الأخيرة ـ رغم تعثرها ـ بداية عودة حقيقية إلى أن تمارس مصردورها الحضاري على صعيد العالم العربي والإسلامي.

عبدالكريم الزنجاني (١٣٠٤ - ١٣٨٨هـ / ١٨٨٧ - ١٩٦٨م)

الشيخ عبدالكريم بن محمد رضا بن محمد حسن بن محمد علي النجفي ثم الزنجاني. إن نَسَبتَه إلى زنجان فذلك لأنه ولد فيها وترعرع، و إن نسبته إلى النجف فلأن جدّه هاجرمن النجف إلى زنجان، وهو نفسه هاجرمن زنجان إلى النجف، والأفضل أن ننسبه إلى دائرة الحضارة الإسلامية الواحدة التي كانت حواضرها إلى زمن قريب مأوى لكل العلماء على اختلاف انتماءاتهم.

بعد أن أتمّ مقدمات دراسته في مسقط رأسه هاجرإلى طهران.. ويبدو أن هذه الهجرة إلى العاصمة هي التي فتحت أمام عبدالكريم الشاب آفاق ما يجري في العالم الإسلامي من أحداث، وجعلته يتفاعل بها.

ويظهرأن طموحه العلمي دفعه أن يهاجروهو في الثانية والعشرين من عمره إلى النجف في العراق، لأن الدراسة فيها كانت مطمح أنظار كل الذين يريدون بلوغ درجة الاجتهاد آنئذ.

ولم يكتف الشاب الزنجاني بالدراسات الفقهية والأصولية بل اتجه إلى دراسة الفلسفة أيضًا وتعمّق فيها، وعلى الرغم من نشأته التركية الفارسية (لغة موطنه الأول زنجان) أجاد العربية وكتب فيها ما يربو على سبعين مؤلفًا، بل وأصبح أيضًا

من الخطباء بهذه اللغة، تشهد له خطبه في القاهرة ودمشق أمام العلماء والأدباء وكبار الشخصيات.

انفتاح الشيخ الزنجاني:

انفتاح الرجل نتلمسه من:

١.اتجاهه إلى التعمق في الفلسفة إضافة إلى الدروس الرسمية في الحوزة.

٢- إجادته السريعة للغة العربية إلى جانب لغته الأم (الفارسية والتركية).

٣- أسفاره الكثيرة إلى أقطار العالم الإسلامي.

٤- تتّبعه لما يجري في الأمة من حوادث، واتخاذه المواقف الجادّة من محاولات التفرقة بين المسلمين كما سنرى.

٥- التنوع في مؤلفاته، مما يدلّ على أنه كتبها تلبية لحاجة المجتمع، فنرى إلى جانب كتبه الفقهية، كتبًا في التربية والتعليم والأخلاق وكتبًا في المسائل الاجتماعية والاقتصادية، بل كتب أيضًا في «السياسة الإسلامية» إضافة إلى كتبه الفلسفية عن ابن سينا والكندي و«تطور الفلسفة».

هذا الانفتاح جعله يحمل همّ العالم الإسلامي بكل ما يحيط به من تحديات، ولذلك اندفع بقوّة نحو مشروع وحدة الأمة الإسلامية. والمشروع يمكن تلخيص معالمه فيما يلي:

١.مركزية الوحدة الإسلامية في رسالته وحركته، وهذا واضح في نشاطاته المذكورة حتى لقبته الصحافة المصرية وبعض العلماء هناك برسول الوحدة الإسلامية.

٢- لم يكتف الشيخ الزنجاني بنشر دعوته الإصلاحية الإنسانية بمجرد الكتابة والنشر والمراسلة، بل أخذ يجوب الأرض، ويركب البحر، ويزور الأقطار العربية والعواصم الإسلامية، ناشرًا ومبلّغًا ومحاضرًا في قضية الوحدة الإسلامية.. فسافر إلى مصر وسوريا ولبنان وشرق الأردن وفلسطين و إيران والهند والباكستان

والقفقاز وغيرها وهو يحمل معه هموم الوحدة.. ولم يدخل بلدًا إلا وترك فيه أثارًا خالدة.

٣- كان يتحرك على أكثر من صعيد ابتداءًا من الصعيد الأهلي والاجتماعي إلى صعيد المؤسسات والمراكز العلمية والدعوية إلى الصعيد الرسمي مع الدول والحكومات..

٤- إن قضية كبرى كقضية الوحدة الإسلامية لا تعطي ثمارها بين عشية وضحاها، بل كانت بحاجة إلى وقت طويل وعمل لا ينقطع وعطاء لا ينضب، وهكذا أعطى الشيخ الزنجاني من نفسه لهذه القضية الكبرى في الأمة، فصرف ما يزيد على نصف قرن من الزمن لدعوته الإصلاحية.

٥- كان يعتقد أن قضية الوحدة الإسلامية قد خرجت عن طور الدعوة والبرهان، والحجة والبيان، وصارت بحيث ترى ضرورتها بالعين وتلمس باليد، و إنما الأمر المهم اليوم السعي والعمل والدعوة الجدية العملية والاستغناء عن الكتابة والأقوال بالجهود والأعمال.. نحن يلزمنا العمل، يلزمنا الصدق، يلزمنا الإخلاص، يلزمنا التضحية ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَ إِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [٢١].

٦- كان يدرك قيمة الإعلام في نجاح وتقدم مشروعات الوحدة الإسلامية وكان يعتقد «أن الدعاية للاتحاد في أمتنا العربية والإسلامية لا تزال ناقصة غير مأخوذة بأطرافها من جميع النواحي فكل ما نسمعه ونطالعه في هذا الشأن محدود المسافة» [٢٢].

٧- لا نحتاج كثيرًا لوصف فضائل الوحدة ووجوب التضامن وضرورة الاتحاد. وقد علم المصلحون والمفكرون وقادة الرأي أن الأمة الإسلامية لم يستفزها هذا الوتر إلا بصورة مؤقتة. فالمجتمع الإسلامي كما كان يراه الشيخ الزنجاني بحاجة إلى تجديد في أساليبه وخططه ومشاريعه لتكون أكثر عملية وأكثر فاعلية وقربًا للغاية المنشودة.

٨- إن دعوات المصلحين للوحدة الإسلامية حينما لم تصل إلى النتائج المرضية كان يجب البحث عن سرذلك. ففي تقويمه يقول الشيخ الزنجاني: «لقد دعوا إلى نبذ العداوة والبغضاء فلم يجدوا غيرهما، أفلم يلزم السعي إلى اكتشاف ناحية الضعف؟ ومعرفة ما للمسلمين من نفسيات يتبادلون فيها سوء الظن وقبح التصور؟ نشأت من قضايا تاريخية وحوادث قديمة تأثرت بها الأجيال وتوارثها الأعقاب فيسيرهم بها أعداء الإسلام نحو التنابذ والخصام، ومعالجة هذا الضعف في تصور الشيخ الزنجاني «بتعريف كل فرد واجبه وكيفية القيام به»[٢٣].

٩- الوعي بالمخططات الأجنبية ودورها في إفشال و إجهاض مشروعات الوحدة والتقريب و إسقاط المصلحين في أعين الأمّة.

«فالدسائس الاستعمارية كانت ولا تزال تحاك حول المصلحين في أمتنا العربية والإسلامية. أفلم يُتهم الإمام المصلح الشيخ «محمد عبده» بأنه ملحد، وأنه صنيع الانجليز، كما اتهم به الزعيم سعد زغلول [٢٤]؟!

١٠- لقد أبدع الشيخ الزنجاني في الأبعاد الفلسفية لمسألة الوحدة والتعاون بربط أنظمة الكون بنظام المجتمع، حيث أن الله سبحانه وتعالى خلق الكون مترابطًا، كلّ جزء يحتاج إلى الآخرولا يستغني عنه وهذا هو الحال في نظام الحياة والمجتمع.

أسفاره وخطبه:

ذكرنا أن الشيخ الزنجاني انفتح على هموم العالم الإسلامي وهذا ما دعاه إلى أن يجول أقطارالمسلمين يدعوهم إلى فكرته في الاتحاد ونبذ التعصّب وتآلف القلوب، ونكتفي برحلته إلى مصر.

في الأزهرالشريف:

لقد اقترنت زيارة الشيخ الزنجاني للأزهربتولي الشيخ محمد مصطفى المراغي مشيخة هذا المعهد العلمي الكبير، والشيخ المراغي من كبار الشخصيات

الحضارية، ولذلك حظي الشيخ الزنجاني بحفاوة بالغة. أقام المراغي لضيفه في ١٠ نوفمبر١٩٣٦ حفل استقبال حضره كبارعلماء الأزهروعمداء الكليات وعدد من الوزراء والسفراء وكثيرمن رجال العلم والأدب والأعلام. وبعد أن قدّم المراغي ضيفه وأشاد بمكانته العلمية ومناقبه وفضله، أكد الإمام المراغي على مساحة علمية هامة هي اللقاء بين المعهدين العلميين الكبيرين في القاهرة والنجف (الأزهر والحوزة العلمية)، وقال:

«وقد رأيتم أنني جعلت تكريم فضيلة الإمام الأستاذ الزنجاني في إدارة الأزهر لأجعل في ذلك إشعارًا بأننا نقصد بتكريم فضيلته وتقديرعلومه وشمائله الاعتراف بالتقديروالتحيّة لمعهد النجف الأشرف الذي نرجوأن نقوم بواجب الزيارة له، ومدفنه الشريف، تأكيدًا لروابط العلم والأخوة الإسلامية. وقد أريد من هذا الاحتفال في هذا المكان أن نرسل **تحية الأزهروالأزهريين إلى معهد النجف الأشرف وعلماء النجف** مراجع إخواننا الشيعة الإمامية تحية خالصة يرسلها مسلمون إلى إخوانهم المسلمين في هذا المعهد العظيم».

واغتنم الشيخ الزنجاني هذه الالتفاتة العلمية التقريبية الهامة فراح يؤكد عليها مبينًا مكانة النجف في التاريخ العلمي فقال:

«إنّي أشعربسعادة عظيمة وغبطة لوجودي بين هذا الحفل العلمي الكريم الذي تأيّد فيه نجاح جهودنا الجبّارة في سبيل توحيد شعورالمسلمين، وتقوية الروابط الدينيّة بينهم ـ على اختلاف أوطانهم ـ و إذكاء روح الأخوة الإسلامية في طوائفهم المختلفة. وأرى جليًّا أنَّ وجوه النظربين الطائفتين الإسلاميتين الكبيرتين: الشيعة والسنّة قد تقاربت بمساعينا ومساعي فضيلة الأستاذ الأكبرالإمام المراغي، وتجلّت حقيقة هذا التقارب في التشريعات الحديثة، واستنباط الأحوال الشخصيّة في مصرمن تعاليم جميع المذاهب الإسلامية، وفي ضمنها مذهب الشيعة الإماميّة، وكذلك تجلّت حقيقة الأخوّة الإسلامية في هذا الاحتفال العظيم التاريخي الذي

أقامه الأزهر الشريف تكريمًا للنجف الأشرف.

ولا يخفى على حضراتكم أنَّ النجف الأشرف (مدفن الإمام الأعظم أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام) كعبة العلوم الدينية والفلسفية والعربية، تقصدها الوفود الإسلامية من جميع القارّات، ليتفقَّهوا في الدين ولغة القرآن الكريم، وينشروا ذلك في قومهم إذا رجعوا إليهم.

وأنَّ معاهد النجف الأشرف أُنشئت منذ ألف سنة تقريبًا لتخريج المجتهدين والفلاسفة وعلماء الفقه الإسلامي الذي له تاريخه المجيد، وآثاره العظيمة في الحياة الفردية والنظم الاجتماعية، فهو جامع لمجموع الحكمة العملية، والعلوم الحقوقية، وفنون العلوم من الاجتماعي والاقتصادي والأسري والسياسي والثقافي والعمراني والديني والخلقي والقضائي والشرع الدولي، وعوامل التربية المقصودة. والفقه الإسلامي غني بالمبادئ التي تحقّق السعادة للإنسان في شخصه، وفي علاقته بغيره، وقد بُنيت عليه المدنيّة الإسلامية في عصورها الزاهرة، كما عني به الغربيّون باعتباره مصدرًا قويمًا من مصادر التشريع.

النجف الأشرف قلب الإسلام النابض، وعَلَمه الخفّاق، ومصباحه الوهّاج الذي تعاقبت عليه الأجيال والقرون وهو يرسل أشعَّة العلوم والإيمان والتُقى ومكارم الأخلاق إلى مشارق الأرض ومغاربها، وبفضل علمائها انتشرت روحانية الإسلام في أقطار الأرض، واهتدت الأمة الإسلامية إلى ما فيه مصلحتها. وهكذا أخذ المهتدون سمتهم في طريق الحياة الخالدة، مهتدين بنوابغ أعلامها الذين شقّوا منها الصالح في وسط المشاكل المدلهمَّة والظلمات المتكاثفة، وتوالت الأيّام على هذه الأمّة، وهي تستنير بشموسها وأقمارها ونجومها السواطع، فتنسج على منوالهم، وتعوذ بهم في الطوارئ.

وغير خفيٍّ عليكم ـ أيّها السادة ـ أنَّ بغداد كانت عاصمة الثقافة والعلوم في الشرق كلّه، بل في العالم ردحًا من الزمن، وبعد سقوطها وضياع ذخائرها العلمية

اضطلع معهدان بحمل عبء المعارف الإسلامية والعلوم الدينية في الشرق، فصار كلٌّ منهما المثابة الأخيرة والقبلة التي يؤمّها طلاّب العلم من جميع الأقطار:

الأوّل: معهد النجف الأشرف في العراق. وقد أسسّه الطوسي شيخ الطائفة الإمامية، وكان ـ ولايزال ـ نبراسًا تستضيء بنوره الأمم الإسلامية، ومنبعًا غزيرًا للعلوم الدينية والفلسفية والعربية، والفنون الأدبية واللغويّة منذ عشرة قرون تقريبًا.

والثاني: معهد الأزهرالشريف في مصر الذي حمل تلك الأمانة أحقابًا طوالاً في الشرق العربي.

وكان هدف هذين المعهدين العلميين الدينيين واحدًا، وكان مؤسّساهما من الشيعة، فهل نريد للشيعة مأثرة أعظم منهما؟ وهما و إن افترقا في الخطّة بعد حين، ولكنّهما احتفظا على بثِّ الثقافة الإسلامية والعربية حتى الآن.

ويمتازمعهد النجف الأشرف بما وصفه الأستاذ الأكبر، وهو أنَّ العلم فيه مقصد وغاية، لا وسيلة، ومحبوب مطلوب لذاته لالغيره، ومرغوب فيه لذاته. ويمتازأيضًا بغزارة موادّ الدراسة فيه من أنواع العلوم والفلسفة، كما أنَّ معهد الأزهرالشريف ممتازبحسن النظام، وجودة المناهج.

ويسرُّني أنْ أُصرّح بأنَّ ما شاهدته في الأزهرمن أقسامه الحديثة، إلى كلياته، إلى أقسامه الابتدائية، إلى إداراته من آثارالإصلاح العلمي، والنظام الحديث، سواء فيما يتعلّق بمبانيه الفخمة، أو قوانينه ونظمه ومناهج الدراسة فيه، قد دلَّني على المقدارالعظيم الذي يتمتَّع به الشيخ الأكبرمن التفكيرالعلمي ورجاحة العقل.

وقد أقام فضيلته الدليل الواضح للمسلمين ولعلمائهم على مكانة الأزهر العلمية، وعلى إنتاج الأزهرالعلمي في هذا العصرالحديث، وأثره العظيم في تحقيق الوحدة الإسلامية. ودلَّ بحقّ على أنّه جديربأن يُلقَّب **بشيخ الإسلام والمسلمين**، وجديربهذا المعهد أنْ يكون على رأسه شيخ جليل مثله، يسيربه في الطريق المؤدّية إلى الغاية التي يطلبها أهله وسائرالمسلمين في أقطارالأرض، بل يطلبها معهم سائر

الشرقيّين الذين يعتزّون بأقدم جامعة لهم في الشرق بعد جامعة النجف الأشرف.

وفي الختام أشارك فضيلة الأستاذ الأكبر في تمنّياته أن يزور فضيلته وبعض علماء الأزهر معهد النجف الأشرف، بل أعدّ هذه الزيارة من أسعد الفرص لنا ولمعهدنا، ولاشكَّ في أنّ الرابطة بين أهل العلم الواحد واجب من أقدس الواجبات التي يجب أن تتوثَّق بين علماء الإسلام ومذاهبه وفرقه، فإن العلم رحم بين أهله، ومن المأمول في علماء الدين الحنيف أن يستقصوا أحوال الشعوب الإسلامية، وأن يقفوا على جليّة ما هي عليه من خير أو شرٍّ في كلّ لحظة؛ ليبصّروها في سبيلها، ويبعثوا في صدورها الهمم والغيرة، ويتقدَّموا لها بالدفاع والاحتجاج حتى يجمعوا كلمتها، ويوحّدوا شعورها وصفوفها، وينالوا ثقتها «ومن لم يهتَّم في شؤون المسلمين فليس منهم» وأن يدفعوا عن الدين بأموالهم وأنفسهم، وأن ينفروا خفافًا وثقالاً، ينشرونه في البلاد، وينصرونه، ويدفعون عنه افتراء المفترين في جميع الجهات؛ ليعزَّهم الله وينصرهم ويثبِّت أقدامهم».

وبعد أن حان وقت المغرب قدّم الشيخ المراغي ضيفه ليؤم المصلين. وكانت هذه البادرة هي الأخرى دلالة على الروح الحضارية في الأزهر الشريف وفي إمامه الشيخ المراغي آنئذ.

زيارة المعاهد الأخرى:

وبدعوة من السيد محمد الخضر زار الشيخ الزنجاني جمعية الهداية الإسلامية في القاهرة وألقى هناك كلمة. وزار أيضًا جمعية الشبان المسلمين، فأقيم لاستقباله حفل ضخم، قدّمه فيه الشيخ عبدالوهاب النجار، ثم ألقى كلمة بيّن فيها الأسس الفلسفية للوحدة الإسلامية، وأوضح بعض ما يثار من شبهات طائفية، وكانت له أيضًا في القاهرة لقاءات وخطب أخرى.

مراسلاته :

ثمة مراسلات عديدة في ملف الشيخ الزنجاني بينه وبين الشيخ محمد

مصطفى المراغي إمام الأزهر الشريف.

نختار واحدة منها، ففيها فكرة يطرحها المراغي بشأن تشكيل مجلس أعلى للمسلمين عامة بمختلف مذاهبهم، وهي فكرة لا تزال حيّة تنتظر التنفيذ، وجواب الشيخ الزنجاني عنها:

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الجليل السيّد عبدالكريم الزنجاني ـ العراق ـ النجف الأشرف حضرة السيّد العظيم والأستاذ الجليل السلام عليكم ورحمة الله وبعد، فإنّي أعترف بتقصير لاينفع معه العذر، ولكنّ الأمل في ساحتكم الواسعة يخفّف الألم من الشعور بهذا التقصير.

أمامي خطابكم المؤرّخ ١٣٥٦/٩/٨ وأنا معك بقلبي كلّه، أشعر كما تشعر بحال المسلمين، وأظنُّ أنَّ خطابك يشير إلى حوادث الأقاليم الشمالية في الهند بين الشيعة وأهل السنّة، وقد كان ذلك في العام الماضي قبل سفر البعثة الأزهرية، وذلك أني بحثت وكلّفت بعض من يتابع قراءة الجرائد الهندية، فلم أعثر على جديد.

لعلّك سمعت خطبتي يوم عيد النحر في الراديو أو قرأتها في الجرائد، ولعلّك تقرأ من وقت لآخر شيئًا عمّا أحاوله من الوحدة بين المسلمين، وفي ذلك كلّه ترانا على رأي واحد، ومبدأ واحد هو الوحدة الإسلامية.

وأنّي أعرض عليك الآن رأيًا، وهو أن يوجد **مجلس إسلامي أعلى للنظر في أحوال المسلمين**: أمراضهم وعللهم، وما ينفع في علاجهم، ويوحّد تعليمهم وثقافتهم، ويقرّب بين طوائفهم ومذاهبهم، وأن يمثِّل جميع المسلمين في هذا المجلس تمثيلاً حكوميًا أو تمثيل غير حكومي، و إنّي أعتقد أنَّ مثل هذا المجلس سيكون له من الشأن ما يُخفّف ما تشعر به أنت، وأشعر به أنا.

أرجو عرض هذا الرأي على الإخوان، و إفادتي ما ترون، وبتفصيل ما ترون، والجهة التي ترونها صالحة لهذا، هل هي مصر أو بلد آخر، ومتى وافقتم على هذا

الرأي فأرجو أخذ رأي أهل العراق غير الشيعة. والسلام على جميع الإخوان ورحمة الله

محمد مصطفى المراغي ٢٦ ذو الحجة ١٣٥٦ هـ / ٢٦ فبراير ١٩٣٥م

رسالة الشيخ الزنجاني جوابًا على رسالة شيخ الأزهر السابقة:

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغي شيخ الجامع الأزهر/القاهرة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد، فقد تسلّمت كتابكم الكريم المؤرّخ ٢٦ ذو الحجّة ١٣٥٦، فلمحت لي بارقة الأمل في أفق الوجود طليعة تحقيق الأماني التي يتطّلع إليها العالم الإسلامي.

و إنّي و إن كنت أعلم أنَّ فكرة الوحدة الإسلامية من الأفكار التي تجول في عرق كلِّ عراقي، وأنّه ليس هناك أيّ تردّد، بل إنّما هناك نفوس متوثّبة وهمم ماضية في تحقيقها و إظهارها إلى الوجود، ولكن لكشف الحقيقة عرضت رأيكم السامي على أعلام علماء الشيعة وأشراف النجف الأشرف، وتداولت مع علماء العاصمة وزعمائها وأشرافها، وكبار رجال الحكومة، ورؤوس أهل الحلّ والعقد في العراق من إخواننا أهل السنّة والشيعة، وربما قرأتم في الصحف العراقية كلماتي التي أقنعتُ بها الجماهير المحتشدة في جامع السيّد سلطان علي ببغداد من أعلام علماء أهل السنّة والشيعة، ورجال الحلّ والعقد، فكلٌّ أعطاه حقّه من الترحيب، وأهّله للبركة، وطلب المبادرة إلى الحركة. فالعراق بأجمعه خاضع لمفعول هذه الفكرة السامية في جوهرها، ولكن هل الأقطار الإسلامية الأخرى لهم علم بهذا الرأي؟ إذ يجب أن يمثّل في هذا المجلس جميع عناصر المسلمين:

و إنّي أعتقد أنَّ الجمعيات الدينية في جميع الأقطار الإسلامية لا تعارض هذا المشروع، على أنّي أحذّر من العقبات السياسية، وما قد تُدلي به الحكومات الاستعمارية من النظريات السياسية والعراقيل في هذا المضمار.

وأمّا رأيي في هذا الموضوع فإنّي أرى أشياء تلزم للإعداد. وما ذاك إلا من تغلغلي

في الإصلاح الذي أتوخاه وأصطفيه، وصاحب البيت أدرى بالذي فيه:

الأوّل: أنَّ التمثيل في المجلس الأعلى يجب أن يكون غير حكومي؛ لأنَّ جمهور الشيعة يرون أنَّ كلّ أمر ديني يلزمه أن يُتقرّب به إلى الله تعالى، ويُطلب امتثالاً لأمره تعالى، ولذلك ترى العلماء والأتقياء يجتنبون الوظائف الحكومية، والرواتب، لأنَّهم يرون أنَّ ذلك مبعد عن التوفيق الإلهي.

الثاني: أنَّ تعيين بلد الانعقاد ممّا يتريّث فيه؛ لأنَّ اختيار القطر والبلد ليس بالأمر الهيّن، ولذا يجب نبذ كلّ فكرة عاطفية، وإنّما يشترط في بلد الانعقاد أن يكون في قطر متمتّع بسلطة أهلية، وبعيد عن كلّ نفوذ سياسي أجنبي. وعليه فأيَّ قطر من الأقطار العربية تتمتّع بحريّة محلية تكون نتيجة التمتّع السياسي المستقلّ فهو المعيَّن لأن يُعقد فيه المجلس الإسلامي الأعلى.

الثالث: المبادرة إلى تشكيل لجنة تحضيرية لوضع المنهاج والموادّ التي سيبحث عنها المجلس الإسلامي العامّ، وإعلانها على المسلمين كافّة؛ لكي لا يبقى مجال لخصوم الدين والجامدين والرجعيين وأعوان المستعمرين أن يختلقوا المقاصد غير الشريفة للمجلس الإسلامي الأعلى، ليصيبوا هدفهم من إثارة نفوس الدهماء عليه، وقتله قبل تكوّنه.

الرابع: الإيعاز إلى الكتّاب والمؤلّفين في تاريخ الطوائف والمذاهب الإسلامية ومسائل الاعتقادات أن تكون مقرونة بالمجاملة ورعاية الآداب، وأن يكون الجدل بالتي هي أحسن، وبعبارات غير جارحة للعواطف، لكي لا تثير التعصّب الذي يجب تركه في مقام الإرشاد والهداية وتوحيد الكلمة. والسلام عليكم وعلى جميع الإخوان ورحمة الله[٢٥].

عبدالكريم الزنجاني ١٣٥٧/٢/٨ النجف الأشرف

محمد تقي القمي (١٢٨٩ – ١٣٦٩هـ / ١٩١٠ – ١٩٩٠م)

ولد الشيخ محمد تقي بن أحمد القمي في مدينة «قم» الإيرانية وامتاز منذ نعومة

أظفاره بالنبوغ وحمل هموم العالم الإسلامي. ولذلك حفظ القرآن في صغره وتعلّم علوم اللغة العربية كما تعلّم اللغة الفرنسية، ودرس العلوم الدينية.

دافع العمل:

حول دافعه في إنشاء دارالتقريب وذهابه إلى مصروكيف بدأ عمله قال: أن ثمة ظروفًا تجمعت في العالم الإسلامي آنذاك جعلت الصراع الطائفي بين أهل السنّة والشيعة على أشدّه. كان الجوّ مفعمًا بين الفريقين بعدم الثقة والتوتر والتخاصم والشبهات، وكان أعداء الإسلام قد نجحوا في خلق حواجزضخمة بين المذاهب، يتراشق أصحابها التهم بينهم، دون أن يفكروا في الجلوس على طاولة واحدة ليسمع كل منهم حديث الآخربمعزل عن الطعن والتجريح والتشنّج.

مقتل السيد اليزدي:

ثم حدثت حادثة هزّت كل المخلصين، واستحثّت كل المهتمين بمصيرالأمة الإسلامية. لقد أُعلن نبأ إعدام إيراني سيّد (من آل البيت) هوسيّد أبو طالب اليزدي في موسم الحج بأرض الحجازبتهمة إهانة الكعبة!! وانشدّت الأنظارإلى السعودية لتستطلع الخبر. فجاء التحقيق مذهلاً مؤلمًا يعبّرعن جوّ فظيع من انعدام الثقة والشبهة والتهمة بين المسلمين.

تبيّن أنّ الرجل أصيب في الطواف بحالة غثيان، فأراد الخروج من بين الطائفين، لكنه لم يتمالك نفسه، حرص على أن لا يلوّث أرض المسجد، فجمع لباس إحرامه وألقى قيأه فيه. ثم أسرع للخروج، فاستوقفه شرطي وسأله عمّا يحمله، فلما رأى ما رأى ولم يفهم من السيد أبو طالب توضيحاته بالفارسية، أخذه وسلّمه إلى القضاء. وهناك أيضا لم يفهموا ما يقوله السيد، فأفرزت ذهنيات القضاة هناك مايلي: إن هذا الرجل إيراني، والإيرانيون عادة لا يحجون بيت الله الحرام بل يحجون كربلاء والنجف!! و إنما يأتون إلى بيت الله الحرام بقصد إهانته!! وما يحمله هذا الإيراني إنما كان يستهدف به تنجيس الكعبة!! ثم حكموا عليه بالإعدام .. وضربوا عنقه!!

هذا نموذج واضح على نجاح الخطة الاستعمارية في إيجاد فصل نفسي وشعوري واعتقادي بين المسلمين.

هذا الحادث هزّالشيخ القمي ، كما هزّالكثيرين من أبناء العالم الإسلامي، لكنه لم يحرّكه في اتجاه سلبي.. لم يدفعه إلى الانتقام من القَتَلة، بل إلى الانتقام من الجهل والفرقة وكل العوامل التي أدّت إلى هذه الظاهرة وغيرها من الظواهر المؤلمة.

فكّرفي الأمرمليًا، وقررأن يتحرّك لكسرحواجزالعزلة بين السنّة والشيعة، وكان لابدّ أن يكون هذا التحرك في مركزقادرعلى أن يشعّ بتأثيره على كل العالم الإسلامي. وليس أفضل لهذا الأمرمن الأزهر والقاهرة.

السفر إلى لبنان:

هذا المشروع يحتاج أولاًإلى تعلّم اللغة العربية، فالشيخ القمي درس العربية صرفها ونحوها وبلاغتها في الحوزة العلمية، ولكنه لا يجيد التحدث والتخاطب بها. ذهب بهدف تعلم اللغة العربية إلى لبنان، وأقام في قرية لبنانية يعاشرأدباءها وشيوخها، ويعكف ليل نهارعلى التحدث باللغة العربية لمدة ٧ أو ٨ أشهر.

ومن ذكرياته عن تلك القرية اللبنانية ما يحمله عن رجل دين مسيحي يحبّه كل أبناء القرية، ما إن يخرج إلى الشارع حتى يجتمع حوله الناس يحيونه ويقبلون يده، سألته عن سرّشعبيته هذه . قال لي وأشارإلى كنيسة القرية وبجوارها مدرسة: السبب هو هذا. نحن ننشئ إلى جانب كل كنيسة مدرسة. فنربّي فيها أبناء القرية ونرتبط بهم فيها فكريًا وعاطفيًا وروحيًا. يقول الشيخ القمي: عدت إلى نفسي حين سمعت كلمة هذا الشيخ المسيحي، وفهمت سرّتطورحضارتنا الإسلامية في عصورها الذهبية، حين كان التعليم لا ينفصل عن المسجد. وهذا ما دعا الشيخ القمي لأن يكتب فيما بعد مقاله في *رسالة الإسلام* «ليكن شعارنا: المدرسة بجانب المسجد»[٢٦] . وفيه يركزعلى أهمية التحام العلم بالإيمان، حتى يثمرعطاء العلم ويثمرعطاء الإيمان.

الرحيل إلى مصر:

ويترك لبنان ويرحل إلى مصر، فيتصل أول ما يتصل بالشيخ محمد المراغي الكبير، وكان يومذاك شيخ الأزهر الشريف. يبثّ إليه شكواه، وينفث عنده مافي صدره من هموم، ويصف له ما آلت إليه حال المسلمين بسبب تفرّقهم وتشتّتهم، ويطرح عليه فكرة التواصل بين المذاهب الإسلامية، والتعارف بينها. ويتجاوب معه الشيخ المراغي كل التجاوب، ويقترح على الشيخ القمي أن يبدأ عمله من التدريس في الأزهر، وأن يبدأ من تدريس الفلسفة. يبدأ بالتدريس ويشتغل ردحًا من وقته في مكتبة الجامعة.

استأجر بيتًا متواضعًا بسيطًا لسكنه ولنشاطه العلمي (أصبح فيما بعد مقرّدار التقريب في القاهرة)، وكان يعيش على ما جاء به من مال، وعلى ما يُرسل إليه من إيران، عيشة قناعة وكفاف. وأمّا ما يحصل عليه من مال مقابل تدريسه وعمله المكتبي فيوزعه على مستخدمي الجامعة.

كان الشيخ المراغي مصيبًا في اقتراحه التدريس بالأزهر فلقد وفّر للشيخ القمي فرصة الاتصال بفئة كبيرة من العلماء والأدباء والمثقفين الذين أعجبوا بشخصيته العلمية، وباتزانه وخُلُقه ورجاحة عقله و إخلاصه ومودّته.

بالمناسبة كان الشيخ القمي ذا قامة ممشوقة مهيبة، ووجه مشرق بشّاش ، ومنطق رصين متّزن، وخلق كريم جذّاب، وكان ذلك من عوامل نجاحه في دعوته.

واصل الشيخ القمي عمله الجامعي ، وعن هذا الطريق أنشأ علاقات واسعة مع الأساتذة والعلماء ، وكانت الجلسات تتوالى في بيته أو في أروقة الجامعة، تُطرح فيها هموم المسلمين، ومشكلة الطائفية، والشبهات المذهبية، وتدور أحاديث شيقة، نضّجت فكرة التقريب، وزادت من عدد المؤمنين بها.

كان الشيخ المراغي خلال كل هذه المدّة يبذل الجهد لإنجاح مهمة الشيخ

القمي. وكان مما فعله أن عرّف الشيخ القمي بطائفة من العلماء الذين يحملون هموم وحدة المسلمين ونبذ التفرقة بينهم، منهم الشيخ مصطفى عبد الرازق الذي أصبح فيما بعد شيخًا للأزهر، والشيخ عبد المجيد سليم، والشيخ محمود شلتوت وكلاهما أيضا تولّيا مشيخة الأزهر فيما بعد، والشيخ محمد محمد المدني، والشيخ محمد علي علوبه باشا، ثم اختار الشيخ القمي جمعًا آخر فيهم الشيخ حسن البنا والشيخ عبد العزيز عيسى، والشيخ علي المؤيد من اليمن والسيد الآلوسي نجل صاحب تفسير *روح المعاني*. ومن هذا الجمع تشكلت النواة الأولى لجماعة التقريب، وأقامت هذه الجماعة مؤسسة هي «دار التقريب»، واتخذت هذه المؤسسة المباركة من بيت الشيخ القمي المتواضع مقرًا لأعمالها.

مع الشيخ عبد المجيد سليم:

من الشخصيات التي برزت بين جماعة التقريب الشيخ عبد المجيد سليم. كان رجلاً كبيرًا في علمه وشخصيته و إخلاصه. قال عنه الشيخ المراغي: لو كان أبو حنيفة حيًا لما استخلف على مدرسته الفقهية سوى الشيخ عبد المجيد سليم، لإلمامه الكامل بالفقه الحنفي ولدقته وسعة علمه. ولما كان يمتازبه من صفات نبيلة انتخب لمشيخة الأزهر دورتين.

والشيخ عبد المجيد سليم أول من راسل الإمام آقا حسين البروجردي في قم وهي مراسلة هامة للغاية بين أكبر شخصيتين سنية وشيعية آنئذ. وظلت هذه المراسلات تتوالى عن طريق الشيخ القمي أو المسافرين بين مصر و إيران. وكان السيد البروجردي يردّ على رسائله بكل إجلال واحترام.

وفي مرّة أرسل السيد البروجردي كتاب *المبسوط* للشيخ الطوسي، وهو دورة كاملة في فقه الشيعة إلى الشيخ عبد المجيد سليم. أعجب الشيخ بالكتاب أيّما إعجاب، وكان يقول: متى ما أردت أن أشارك في جلسة استفتاء أراجع كتاب *المبسوط*، وكان لاطلاعه الواسع على فقه الشيعة أثر في فتاواه الفقهية التي تتجلّى فيها روح التقريب.

من ذكريات القمي عن الشيخ عبدالمجيد سليم:

كان لتعرف الشيخ عبد المجيد سليم على فقه الشيعة وفهمه لأصول هذا الفقه وسعة أبعاده وقربه من روح الشريعة أثر كبيرعلى اتجاه نشاطات الشيخ. فقد نشر في جوّ الأزهرالفقه المقارن، ثم رأى الجوّ مهيئًا لصدورفتوى جوازالتعبّد بفقه الشيعة. وكان ذلك قبل عشرسنوات من صدورفتوى الشيخ شلتوت بهذا الشأن.

هيّأ الشيخ أذهان جماعة التقريب وأفكارهم لهذا الأمر. وتقرردراسة صيغة الفتوى في جلسة معيّنة. وقبل أسبوع من تلك الجلسة المقررة وصلت إلى جميع أعضاء جماعة التقريب طرود بريدية مبعوثة من عواصم أوربية مختلفة، أُرسلت على عناوينهم في محلّ عملهم، وأرسل نظيرها على عنوانهم في بيوتهم، وهي تحمل ما ينسف فكرة إصدارالفتوى.

الأمرعجيب، والتخطيط دقيق، ومتابعة القوى الشيطانية لنشاط التقريب حثيث. في توقيت دقيق تحركت هذه القوى للوقوف بوجه خطوة هامة من خطوات التقريب.

حضرالأعضاء في الجلسة المقررة وهم يحملون تلك الطرود، والغضب باد على وجوههم، وجلس الشيخ عبد المجيد في مقدمة المجلس. و إذا بالأعضاء يرفعون صوتهم دفعة واحدة، ويتحدثون بلهجة غاضبة قائلين: أتريدون أن نصدرفتوى في جوازالعمل بفقه الشيعة وهم يعادون الصحابة! ثم فتح كل منهم طرده وأخرج منه كتابًا منسوبًا إلى أحد علماء الشيعة يتحامل فيه على الخليفتين الأول والثاني. وقالوا: هذه وثيقة تبين طبيعة الشيعة وأفكارهم تجاه الخلفاء فماذا تقولون؟

يقول الشيخ القمي: استولى عليّ الوجوم، فما عدت قادرًا على الكلام في هذا الجوّ المتشنّج. نظرت إلى الشيخ عبد المجيد فرأيته ينظرإلى كل واحد من المتكلمين بهدوء وطمأنينة كأنه يريد أن يستفرغ منهم شحنة غضبهم. وعندما تكلّم الجميع وساد الجوّ هدوء نسبي، تناول الشيخ سليم الحديث وقال باتزان

ووقار: هلاّ سألتم أنفسكم من أين جاءت هذه الطرود؟ وما هو هدف مرسليها؟ ولماذا أرسلوها في هذا الوقت بالذات؟ ثم استرسل في الحديث قائلاً: لو أن الشيعة والسنّة لم يكن بينهما اختلاف لما احتجنا إلى التقريب و إلى جماعة التقريب ودار التقريب ومجلة *رسالة الإسلام*. لكننا بعد علمنا بوجود الاختلاف نهضنا بهذا المشروع، كي نركز على المشتركات ونقلّل الاختلافات ونزيل الشبهات. ثم انظروا إلى هذه الأيدي التي فعلت فعلتها بطباعة كتاب يثير حساسيات أهل السنّة تجاه الشيعة في أوربا، وأرسلته في هذا الوقت الحساس إليكم، أهي حادبة على أهل السنّة؟ أيهمّها مصلحة المسلمين؟

وهّلا سألتم أنفسكم عن صحة نسبة هذا الكتاب إلى مؤلفه؟ ولو قُدّر أن هذه النسبة صحيحة، فهل ماجاء فيه يخرج المسلم من دائرة الإسلام ويفكه من رباط الأخوة الإسلامية؟! واسترسل يتحدّث بلغة رصينة مستحكمة. هدأ الجوّ، ولكنّ صدور الفتوى تأخر عشر سنوات حين أقدم الشيخ محمود شلتوت على تنفيذ المشروع.

ومن المشاريع التقريبية التي نهض بها الشيخ عبد المجيد سليم إدخال تفسير *مجمع البيان* إلى ساحة العالم الإسلامي. حين اطلع الشيخ على هذا التفسير وجد فيه بغيته، رآه التفسير الذي يجمع بين العمق العلمي، والسعة والشمول، والوضوح والمنهجية، والابتعاد عن التعصب، والجمع بين آراء أهل السنة والشيعة. فكتب إلى دار التقريب رسالة يشيد بهذا التفسير ويستحث الجماعة على طباعته. وكتب في مقدمته على هذا التفسير: هو كتاب جليل الشأن غزير العلم كثير الفوائد، حسن الترتيب. لا أحسبني مبالغًا إذا قلت إنه في مقدمة كتب التفسير التي تعدّ مراجع لعلومه وبحوثه.

وهذا الحثّ دفع الشيخ محمود شلتوت أن يطالع هذا التفسير بإمعان، فشُغف به حبًا، وولع به ولعًا يتضح من المقدمة التاريخية التي دوّنها لهذا التفسير. تقرّر

طباعته، وعلى مدى أعوام طبع هذا التفسير أفضل طبعة تتصدرها رسالة الشيخ سليم ومقدمة الشيخ شلتوت.

مع الشيخ محمود شلتوت والشيخ شلتوت كان عالمًا مفسّرًا أديبًا عاملاً ورث عن أستاذه الشيخ عبدالمجيد سليم إخلاصه وعلمه وروحه التقريبية. وكان يجلّ أستاذه ويحترمه ويقوم له في المجلس ويقبل يده.

خصّ كلّ جزء من أجزاء مجلة *رسالة الإسلام* بحلقة من التفسير يجمع فيها بين الوضوح والعمق والأصالة والمعاصرة. كان يكتب بروح الأزهر وبلغة العصر. ثم جمعت هذه الحلقات في كتاب وطبع فيما بعد.

ومن مظاهر الروح التقريبية لدى الشيخ شلتوت ارتباطه بمراجع الشيعة وهو على رأس مشيخة الأزهر. فقد راسل السيد البروجردي في قم وراسل السيد محسن الحكيم في النجف. وفي عهده بدأ العمل بتنفيذ مشروع شلتوت - القمي، ويقضي بجمع أحاديث السنة والشيعة في الموضوعات المختلفة، وهو عمل تقريبي هام يوفّر للباحثين سبل التحقيق، ويوضّح ما بين الفريقين من تقارب في السنّة بعد اتفاقهما الكامل على كتاب اللّه تعالى. كان المشرف على تنفيذ المشروع الشيخ محمد محمد المدني، وبعد وفاته (رحمه الله) توقّف. وأخيرًا اجتمع عدد من تلاميذ المرحوم الشيخ شلتوت الذين تربّوا تربية تقريبية على يديه، ليواصلوا هذه الأطروحة.

مع الشيخ حسن البنا والتقريب:

وحين يتحدث الشيخ القمي عن ذكرياته مع جماعة التقريب يقف طويلا عند الشيخ حسن البنّا. حين يذكره يسري إلى جسده نوع من النشاط والحيوية في الكلام كأن نشاط الشيخ البنا ينتقل إلى جسده. لم يكن حسن البنا عالمًا أزهريًا ولم تكن له علاقات مع شيوخ الأزهر، لكنه كان جبلاً شامخًا في همومه وتحركه ونشاطه وتخطيطه و إخلاصه. بهذه الصفات الكبيرة اخترق أوساط الشباب الجامعي وربّى جيلاً تقيًا ورعًا مجاهدًا مثقفًا ثقافة إسلامية واعية صحيحة.

كان يحمل همّ التقريب بين مذاهب المسلمين انطلاقًا من هدفه الذي كان يعيشه بكل وجوده، وهو عودة الأمة المسلمة إلى عزّتها وكرامتها ومكانتها على الساحة التاريخية. روحه التقريبية هذه سرت إلى جماعة «الإخوان المسلمين» التي أسسها ورعاها وأشرف على مسيرتها. وآثاره لاتزال حتى اليوم موجودة بين جماعات الإخوان المسلمين. فهي الجماعة السلفية الوحيدة التي كانت ترفض معظم فصائلها التعصب الطائفي وتقيم علاقاتها على أساس الإسلام وحده لا المذهب، ولا تعيرأهمية للخلافات المذهبية، ونأمل أن لا تزول هذه المواقف بفعل طوارئ الساحة السياسية المتلاطمة.

جديربالذكرأن الشيخ حسن البنا كان من أوائل جماعة التقريب ومن المهتمين بدفع مسيرة الدار، وكان الحديث في الأيام الأولى لتشكيل الجماعة يدورعن اسم للمؤسسة التي يهمّ الشيخ القمي بإنشائها، هل تحمل اسم الوحدة، أو التعارف، أو التعاضد أو...؟ غيرأن الشيخ حسن البنا اقترح اسم التقريب لأنه أقرب إلى التعبيرعن أهداف الجماعة. وحملت الجماعة والداراسم التقريب، بناء على اقتراح هذا الشيخ التقي المجاهد.

الهوامش:

١- *رسالة التقريب*، العدد١٤ ، ص ١٦٩.

٢- د. محمد جابرالأنصاري، *تحولات الفكروالسياسة في الشرق العربي*، سلسلة عالم المعرفة، الكويت ١٩٨٠م، ص ٧.

٣- عمرالدسوقي، *في الأدب الحديث*، ط٧، بيروت ١٩٦٦، ج١، ص ٢٣٢.

٤- . ميرزا لطف الله الاسد آبادي، *حقيقة جمال الدين الافغاني*، ترجمه إلى العربية وحققه الدكتور عبدالمنعم حسنين، ط٢، القاهرة ١٩٩٠م، الجزء الأول، ص ٨٢

٥- *الرد على الدهريين*، ٨٢ ـ٨٣، نقلًا عن الدكتورمحمد البهي، مصدرمذكور، ص٨٣.

٦- سليم عنحوري، *تاريخ محمد عبده لرشيد رضا*، ج١، ص ٤٦، نقلًا عن عمرالدسوقي، مصدرمذكور، ج١، ص ٣٠٨.

٧- من ترجمة الإمام الشيخ محمد عبده له، نقلًا عن عمرالدسوقي، مصدرمذكور، ج١، ص ٣٣٣.
٨- المصدرنفسه، ٣٣٣ ـ٣٣٤..
٩- *خاطرات محمد باشا المخزومي*، نقلًا عن عمرالدسوقي، مصدرمذكور، ج١، ص ٣٤٧..
١٠- هي الوليمة التي يقيمها رجال الطرق في حفلاتهم، ويطلق عليها العوام في مصر(الفتة).
١١- مالك بن نبي، *شروط النهضة*، ترجمة عمر كامل مسقاوي، وعبدالصبورشاهين، ط ٤، دمشق ١٩٨٧ ص ٢٤.
١٢- عمرالدسوقي، مصدرمذكور، ج١، ص ٣٠٤.
١٣- *تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده*، ج٢، ص ٢١٧ ـ٢١٨، نقلًا عن المصدرالسابق، ج١، ص ٣١٣.
١٤- جرجي زيدان، *تاريخ آداب اللغة العربية*، بيروت ١٩٦٧، ج٤، ص ٦٤٢..
١٥- انظر: عمرالدسوقي، مصدرمذكور، ج١، ص ٤٢٧ وما بعدها.
١٦- المصدرنفسه ١٥٦/١.
١٧- المصدرنفسه: ١/ ٣٤٩.
١٨- المصدرنفسه، ١/ ٣٣٧ ـ٣٣٨..
١٩- المصدرنفسه، ١/ ٣٣٦ ـ٣٣٧.
٢٠- محمد عبدالمنعم خفاجي، مصدرمذكور، ٢٠/١..
٢١ - محمد سعيد آل ثابت، *الإمام الزنجاني والوحدة الإسلامية*، بغداد، مطبعة المعارف ، ص ٤٠.
٢٢ - المصدرنفسه، ص ٣٩.
٢٣ - المصدرنفسه، ص ٣٩.
٢٤ - المصدرنفسه، ص ٤٠.
٢٥ . *صفحة من رحلة الإمام الزنجاني وخطبه* ١/ ٤٥.
٢٦ - العدد المتسلسل ٣١، ص ٢٤١ (العدد الثالث من السنة الثامنة).